المجلد28/العـدد:1 (2023)، ص 672– 687

Cahiers de Traduction

دراسات الترجمة من منظور بيئي

–قراءة في الأصول والمفاهيم والمبادئ الأساسيّة–

Eco-translatoloy, Towards a New Approach of Translation Studies from an ecological Perspective.

بوسحابة رحمة[1]

[1]مخبر اللسانيات العربية وتحليل النصوص، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر

rahma.boushaba@univ-mascara.dz

تاريخ الاستلام: 2023/03/29 تاريخ القبول: 2023/05/18 تاريخ النشر: 2023/05/27

ملخص:

هذه الورقة هي محاولة لتسليط الضوء على مقاربة جديدة نسبيّا في الترجمة تُدعى" دراسات الترجمة من منظور بيئي"، أو "علم الترجمة البيئي" Eco-translatology، والتي تُعنى بالترجمة بصفتها ممارسة بيئية لغويّة، والتطرُّق إلى خلفيَّتها الفلسفيَّة، ومبادئها الرئيسيّة، وكذا البحث في ماهية القيم البيئية ومفهوم المنظور البيئي، وكيفية تطبيقه على العمليّة الترجميّة. كما ستحاول الورقة تقييم مدى نجاعة هذا النهج الترجمي الذي يجمع بين دراسات الترجمة والدراسات البيئية، وكيف يمكن أن يلعب دورًا حيويًا في تعزيز النقاش حول القضايا البيئية وقضايا الترجمة في آن معا.

كلمات مفتاحية: علم البيئة–دراسات الترجمة من منظور بيئي –التكييف– الانتقاء– البقاء– المترجمون– الحضارة الصينيّة

Abstract:

The present paper is an attempt to shed light on Eco-translatology which deals with translation as an ecological linguistic practice, as well as discussing its philosophical background and main principles. This new translational approach that combines translation studies with ecological studies can play a vital role in raising debate on both environmental issues, and issues of translation.

Keywords: *Eco-translatology-ecology- environment -adaptation - selection – survival- translators - Chinese civilization*

المرسل المؤلف: رحمة بوسماحة

تقديم:

شهِد النِّصف الثاني من القرن العشرين تحوُّلا مفصليّا في مجال الوعي البيئي، بإدراك الأفراد لمحيطهم الذي يعيشون فيه ، والظواهر والمشكلات البيئية التي يواجهونها، واكتساب مفاهيم وقيم تجاه هذه الأبعاد. وقد كان ذلك مع ظهور الكتاب الشَّرارة كما يُعرف "الربيع الصامت" « *Silent Spring* » لمؤلِّفته عالمة الأحياء البحريّة والكاتبة العلميّة الأمريكيّة " راشيل كارسون"*Rachel Carson* (1907–1964)، والذي كان له تأثير واسع على حركة الوعي البيئي، الذي أدّى بدوره إلى شكل من الانتقال من الحضارة الصناعيّة الصِّرفة إلى الحضارة البيئيّة، وبعد أن كان علم البيئة محصورا على الكيميائيين وعلماء الأحياء تحوَّل إلى قضيّة عالميّة تُشكِّل قاعدة سلوكيّة للبشر. ومع عولمة الأفكار البيئية التي أصبحت بدورها مسارا رئيسيا في البحث الأكاديمي، تمَّ دمج مفاهيم البيئة في مجالات العلوم الإنسانية بما في ذلك علم اللغة، والأدب المقارن، والفنون والدراسات الثقافية، ودراسات الإعلام والاتصال وغيرها.

ومع ذلك فإنّ هذا البعد البيئي ظلّ لفترة طويلة بعيدا عن اهتمام دراسات الترجمة على الرغم من كونها حقلا متعدِّد التخصُّصات، ومن هنا شرع بعض العاملين في حقل الترجمة، وعلى رأسهم عالم الترجمة الصيني "هو جنغشان" *HU Gengshen* في شقِّ طريق منهجي لدمج الحلقة المفقودة من البعد البيئي في دراسات الترجمة، وكشف ندرة الدراسات السابقة في هذا المجال.

1– مفهوم المنظور البيئي:

تُشتق كلمة "بيئة "في اللُّغة العربية من الفعل الثلاثي "بوّأ"، ونقول تبوّأ المكان بمعنى نزل وأقام به (السعدي 2013، ص 21).أمّا "علم البيئة" *Ecology* فمُشتق من أصل يوناني، ويعني: "بيتا أو مسكنا، والأشخاص الذين يقيمون في هذا البيت أو المسكن" (اللطيف 2016، ص 88). أمّا اصطلاحا فيُعنى علم البيئة بدراسة العلاقة بين الإنسان والمكان الذي يحيط به. وقد استخدمه لأول مرة عالم الحيوان الألماني "أرنست هيكل" *Ernest Haeckel* (طويل 2013/2012، ص 148)في النصف الثاني من القرن التاسع عشر للدلالة على علم دراسة العلاقات المتبادلة بين الكائنات الحية وبيئاتها. ولا يقتصر علم البيئة على دراسة العلاقة بين الإنسان والمكان الذي

يحيط به، وإنما يمتدُّ لدراسة أساليب تكيّفه مع الظروف البيئية التي تحيط به، ودراسة علاقات التكافل بين أفراد المجتمع وموارد البيئة المحيطة.

وترجع بداية الدراسات البيئيّة إلى الثلاثينات من القرن العشرين عند مدرسة شيكاغو بأمريكا (السعدي 2013، ص 89/88)، ومنها استمِدَّ مصطلح المنظور البيئي *ecological perspective* الذي ينظر إلى الأنساق البيئية باعتبارها وحدات وظيفية واضحة الحدود والتنظيم الذاتي والتكيُّف، وهي تقوم بأداء عملها وتحدث بينها تفاعلات وتعاملات، وتعتمد على بعضها البعض. وقد قام "كاريل جيرمان" *Carel Germain* باستخدام هذا المصطلح لأوّل مرّة عام 1973م لشرح الطريقة التي يجب أن يدرس بها علماء الاجتماع والأخصائيون الاجتماعيون تفاعلات الأشخاص والجماعات داخل البيئات الاجتماعية والثقافية، (نجم و عبد الله 2015، ص 170) ليمتدَّ استخدامه لاحقا إلى مختلف التخصُّصات والميادين، ومن بينها دراسات الترجمة.

2- دراسات الترجمة والمنظور البيئي

المنظور البيئي في دراسات الترجمة هو نموذج جديد في الترجمة، لم يُعرَف بشكل كبير خارج المجال الصيني، تأسَّس في السنوات الأولى من هذا القرن، فقد بدأ في الظهور عام 2001 ، وظلَّ يتطوَّر بشكل بطيء إلى أن شهد ازدهارًا مؤقتًا عام 2009، وحظي ببعض الاهتمام المحلي والدولي في عام 2010 نتيجة حدثين رمزيين هما إنشاء الرابطة الدولية للبيئة وبحوث الترجمة (IAETR) *(Eco- Translatology Research* ، والحدث الثاني هو افتتاح الندوة الدولية الأولى للترجمة البيئية في ماكاو *Macao* . (Gengshen Hu 2020، p xiii).

وتنتمي هذه المقاربة إلى الدراسات المكانية *spatiality studies* (Xiaohua 2015)، وهي مناهج جديدة للتفاعل بين الكُتَّاب، والقراء، والنصوص، والأماكن من خلال التطبيق المنهجي للمبادئ والنظريات البيئية. وتقوم فكرة المنظور على أن كل ترجمة تتمُّ في محيط بيئي واحد (أو متعدد)، وأن المترجم- بصفته الشخص الواعي الوحيد الذي يشارك في العملية- هو من يختار النصوص المصدر والهدف، ويُكيّفها بحسب البيئة المرسِلة والبيئة المستقبِلة.

3- الإطار النظري لدراسات الترجمة من منظور بيئي:

تُفهم الترجمة في إطار هذه المقاربة بمعناها الأوسع لتشمل التكييف، والتوطين، والترجمة الإبداعية *transcreation*، وتشمل أنماط النقل الشفوية، والمكتوبة، والسَّمعية البصرية، والمتُعددة الوسائط، واللغوية، والسيميائية، والثقافية. غير أن المفهوم الرئيسي للنظرية هو الترجمة باعتبارها تكييفا وانتقاء، ومنهجها السَّائد هو "الإنتقاء التكييفي" الذي يقوم به المترجم، ومن هنا تعرّف هذه المقاربة الترجمة على أنها:

"Eco-translatology defines translation as translators' selection and adaptation to the ecological environment of translation".) J. Wang 2020 ،p17(

وهو ما يعني أن الترجمة وفق هذا المنظور تتعلّق في المقام الأول بانتقاء المترجمين، وتكيُّفهم مع المحيط البيئي للعملية الترجميّة.

وتختلف دراسات الترجمة من منظور بيئي عن باقي المقاربات في هذا المجال باعتمادها علم البيئة، ومحاولة تفسير ودراسة العملية الترجميّة من حيث الكليّة البيئية، بدلاً من منظور اللُّغويات والأدب، وعلم الثقافة، والتواصل، والنسوية والأيديولوجية وغيرها، وهو ما يؤكّده "هو جانغاشن" من أن دراسات الترجمة من منظور بيئي تتبنَّى نظام خطاب بتوجيه من العقل البيئي، واصفا إيّاها بما يلي: (Gengshen Hu and Tao 2016, p123)

أ- التأكيد على الكمال والملاءمة *(wholeness and relevance)*

ب- البحث عن الديناميات والتوازن *(dynamics and balance)*

ت- تعكس الجماليات البيئية *(eco-aesthetics)*

ث- تحديد "مجتمع الترجمة" *(translation community)*

ج- الالتزام بأخلاقيات الترجمة *(translation ethics)*

ح- إبراز الوحدة / التنوع*(unity/diversity)*

ويركّز هذا النَّوع من الدراسات على ما يسمَّى بالموضوعات البيئية الثلاث بحسب "هو" وهي علم"البيئة" *ecology*"، و"الحياة" *life*، و"البقاء" *survival*. وتُشير كلمة "علم البيئة" هنا إلى النظام البيئي ومحيط الترجمة، في حين تشير كلمة "الحياة" إلى حياة النصوص المنخرطة في عملية الترجمة، والحالة الحيوية والظروف المعيشية للنصوص، أمَّا "البقاء" فيشير إلى بقاء المترجمين، ومستويات معيشتهم، وتطوَّرهم المستقبلي. ويمكن إجمال ذلك في

أن علم الترجمة البيئية يلجأ إلى الترجمة مقابلا لـ "علم البيئة"، ويتعامل مع "الحياة" مقابلا للنصوص ، ويهتم "ببقاء"المترجمين.

ويضيف "هو" أن هذه المقاربة تعتمد على بيئة الترجمة بشكل كبير من أجل كسر حدود السياق وتجاوزه، إذ يكمن اتجاه "حياة النص" في الكشف عن الآلية البيئية لقابلية الترجمة والتي يمكن أن تؤدي إلى تفسير جديد لهذا النص، كما قد يسهم التركيز على "بقاء المترجمين" في إعادة اكتشاف الدافع الأصلي للترجمة، ولفت الانتباه إلى جودة حياة المترجمين، وتوازن المحيط البيئي للنص الأصل والهدف وغيرها من العناصر" (Gengshen Hu and Tao 2016, p125) .

أما من ناحية المنهج، يُؤكّد البحث في هذه المقاربة على "المنظور الشامل" (Dollerup، 2013) *holistic perspective* باعتبار أن علم البيئة يقوم على الشُّمولية، إضافة إلى التركيز على سلامة الارتباط والتفاعل، ونتيجة لهذا التفاعل بين العناصر المترابطة للنظام البيئي، فإن تغيير أي مكوّن سيؤدي إلى تعديل في العمليّة برمتها، والأمر ذاته في الترجمة، فعلى سبيل المثال إذا تم تغيير الناشر فقد تتغير متطلبات الترجمة أيضًا، وقد يتغيَّر نمط النص المترجم وفقًا لذلك.

ولا يعني ذلك بحسب "هو" أن بقية المناهج الترجميّة لا تهتم بـ"الشمولية" و"التوازن المنهجي"، لكن تركيزها يختلف إلى حد ما عن التركيز الذي تعتمده دراسات الترجمة من منظور بيئي، ذلك أن تركيز هذه الأخيرة يعتمد على طبيعة النظام البيئي، لأنه "طبيعي"، و"مُؤسَّسي"، و"حتمي" بحسبه، في حين أن تركيز باقي المناهج يتم تحديده من خلال الإدراك البشري، وبالتالي فهو "مُصطنع" أو "من صنع الإنسان" بمعنى آخر، مادام تقييم الترجمة يتم من منظور النظام البيئي، فمن الطبيعي أن يكون التفكير في التفاعل المنتظم والتوازن والتماسك والانسجام الشامل.

3-1- الخلفية الفلسفية لدراسات الترجمة من منظور بيئي:

تستند الترجمة من منظور بيئي إلى رافدين أساسيّين، يتعلّق الأول بالتفكير الصيني القديم، والثاني هو نظرية داروين للتطوُّر البيولوجي:

3–1–1–التفكير الصيني القديم:

تعتبر الترجمة البيئية عميقة الجذور في الثقافة الصينية، فهي تستمد أسسها من خلال الاحترام الصيني التقليدي للطبيعة والموارد الطبيعية من جهة، ومن جهة أخرى من الكونفوشيوسية والتفكير الصيني التقليدي في الانسجام بين الأضداد، والقائم على المنطق المزدوج المتمثل في قوتي يين/يانغ *Yin- Yang* ، وهما قوتان تبدوان متعارضتين في الظاهر لكنهما متكاملتان في الجوهر، مثل المرأة /الرجل، النار/الماء وغيرها، والعلاقة بينهما غير ثابتة بل ديناميكية بالدرجة الأولى وتتغير باستمرار، أي أن الأضداد في التفكير الصيني لا يلغي بعضها بعضها، وإنما تتعايش وتتفاعل معا (اليونسكو 2014، ص 160).

ويذكر "هو" (Xiaohua 2015، p135/136) في معرض حديثه عن هذا الرافد المهم لهذه المقاربة، أن الاهتمام بالبعد البيئي لدى الصينيين يرجع إلى الحكمة البيئية القديمة الصينية التي تعتبر أن بداية الثقافة الصينية تركِّز على الحياة، فـ"فهم الحياة" هو الاتجاه السائد في الأفكار الثقافية الصينية، بما في ذلك الفهم والوعي بالحياة والبقاء والبيئة. كما تتضمّن الحكمة البيئية "وحدة السماء والإنسان"، و"عقيدة الوسط"، ومبادئ "البشر أولاً" و"التكامل الشامل"، وتتضمَّن فلسفات ثريّة وأفكارًا نقدية، يمكن أن تميز علم الترجمة البيئية الذي بدأ في الصين.

3–1–2 **نظرية داروين:**

ويدين "علم الترجمة البيئي" الصيني أيضًا بفكرة "تشارلز داروين" *Charles Darwin* " (Dollerup، 2013) **القائلة بأن أولئك الذين يتأقلمون بشكل أفضل مع الظروف المحدّدة هم فقط من سيستمرون في العيش، وهو المفهوم المعروف عمومًا باسم "البقاء للأصلح** *the survival of the fittest*" والذي **يقوم على فكرة الانتقاء(الانتخاب) الطبيعي، وهي العملية التي تحدث بشكل تلقائي في الطبيعة، بانتقاء الأصلح من بيئة معينة، وفي زمن معين فحسب. ويقدم "هو" استنادًا إلى نظرية "الانتقاء/ التكيف" لداروين، تفسيرًا جديدًا لطبيعة، وعملية، ومعيار، ومنهج الترجمة، مُعتبرا الترجمة عملية تكييف وانتقاء.**

3–2–**العدَّة المصطلحية لدراسات الترجمة من منظور بيئي:**

لكلِّ نظام نظري مصطلحاته الخاصّة به، والتي تميّزه عن غيره من الأنظمة من جهة، وتعتبر مفاتيح لفهمه من جهة أخرى، وتتميّز دراسات الترجمة من منظور بيئي بدورها بمصطلحاتها الخاصّة، فقد تمَّ وضع سلسلة من المصطلحات والمفاهيم الفريدة من نوعها في مجال الدراسات الترجميّة (Gengshen Hu and Tao 2016, p 126)، استخدم بعضها من قبل لكن اكتسب معاني جديدة مع هذه المقاربة، ومنها "البيئة"، "الحياة"،"البقاء"،"بيئة الترجمة"،"المحيط البيئي الترجمي"،"النظام البيئي الترجمي"،"مجتمع الترجمة"، "التكييف"، "الانتقاء"،"البقاء من خلال الانتقاء"، "التعايش والتفاعل"، "الآلية البيئية"، "التركيز على الوجود والانسجام" وغيرها. وهي عدة مصطلحية تمّ سكها بفضل الجهود المستمرة في الأبحاث النظرية والتطبيقية، وتراكم الإنجازات في هذا الميدان الذي تحوّل إلى مدرسة مستقلة في النظام المتعدِّد للدراسة النظرية للترجمة.

وتعتبر المصطلحات الثلاث: البيئة، الانتقاء، التكييف المصطلحات الأساسيّة في هذه المقاربة، فالبيئة هي المحور الأساسي للترجمة البيئية، ومن الضروري التمييز بين "البيئة" في علم الترجمة البيئية وبين "البيئة" في السياسة البيئية، ففي علم الترجمة البيئي تتوافق كلمة "*eco*" "البيئة" مع قواعد البيئة الطبيعية بشكل عام، ويمكن اكتشاف بعض الملاءمة والتشابه بين البيئة الترجمية والبيئة الطبيعية، إذ ترتبط الترجمة والطبيعة ببعضهما البعض حسب "السلسلة": الترجمة – اللغة – الثقافة – البشرية — الطبيعة.

ويُلخّص "هو" في هذا الإطار أوجه التشابه بين علم البيئة الترجمي *translational ecology* ، وعلم البيئة الطبيعي *natural ecology* على النحو التالي (Xiaohua 2015، 136 p):

أ- تُحقَّق التفاعلات بين الكائنات الحية وبين البيئة والكائنات الحية الانسجام والتوازن في الطبيعة في نهاية المطاف. وعلى غرار ذلك فإن التفاعلات بين المترجم والعوامل المحيطة ينبغي أن تحقق في النهاية الانسجام والتوازن في الترجمة.

ب- في علم البيئة الطبيعية، تتفاعل البيئة مع كل الكائنات، كما هو الحال في علم البيئة الترجمية، إذ يتفاعل المحيط البيئي للترجمة" مع كل عامل يتعلق بالترجمة.

ج- في الطبيعة هناك علاقة من المنفعة المتبادلة بين مختلف الكائنات الحية، وفي الترجمة تعمل مختلف العناصر على تحسين بعض العوامل المتعلقة بالترجمة، والتي ستؤدي إلى منافع متبادلة بين عوامل الترجمة.

(د) مبدأ "البقاء للأصلح" مناسب لكل من الطبيعة والترجمة.

(هـ) تتبع كل من الطبيعة والترجمة بطريقة ما نفس المنهج أي التكييف/والانتقاء/ والبقاء أو الانقراض.

أما المصطلح الثاني المركزي في علم الترجمة البيئي فهو "الانتقاء/التكييف"، بل هو الأساس الفلسفي الجوهري لهذا الحقل المعرفي، والمستمد من نظرية التطوُّر لداروين (الانتقاء/الانتخاب) الذي هو بدوره الجوهر النظري والتطبيقي في عمل علم البيئة. ويعد الفهم الصحيح لهذين المصطلحين أمرًا بالغ الأهمية لدراسة علم الترجمة البيئية (Xiaohua 2015، p135/136)، وعلى أساسهما تمّ تطوير علم الترجمة البيئي، ومن هنا كان تعريف الترجمة بحسب هذه المقاربة بأنها دورة التكيف والانتقاء المستمر، والتي تخضع لمبدأ البقاء للأصلح. وأنّ اختيار استراتيجيات الترجمة هو نتيجة تكيُّف المترجمين مع بيئة الترجمة، وبناء عليه فإن المترجمين يلعبون دورًا مهيمنًا في عملية الترجمة، وهم ملزمون باعتماد مختلف مناهج الترجمة للتكيُّف مع المحيط البيئي الترجمي بكافّة أبعاده من اللغة، والثقافة، والتواصل، وصولا إلى إنتاج الترجمة الأنسب (J. Wang 2020، p 15).

وتجدر الإشارة في هذا الإطار إلى أن أكثر المصطلحات المستخدمة في هذه المقاربة عبارة عن أفكار مجردة (Dollerup، 2013)، فعلى سبيل المثال لا يشير مصطلح "المترجم" إلى شخص يترجم نصًا معينًا، بل إلى جميع الأشخاص الذين يشاركون في الجانب اللُّغوي للتواصل بين الثقافات، كما أن مصطلح "ترجمة" ليس نصًا أو كتابًا ملموسًا ولكنّه تجريد ينطبق على نشاط نقل الرسائل بين الثقافات التي يتم التعبير عنها في الكلام أو الكتابة الدائمة (الكتب المطبوعة أو الكتب الإلكترونية) أو على أي وسائط تسمح بتسليم رسائل ما في الكلام أو الكتابة.

4- دور المترجم في دراسات الترجمة من منظور بيئي

يحتلُّ المترجم مكانة مركزيّة في هذه المقاربة، فبعد أن كان التركيز في الكثير من المقاربات الأخرى في الترجمة، سواء في المجال الصيني أو الغربي، مُنصبًّا على مُؤلِّفي النصوص الأصلية، وتهميش المترجمين الذين يُجبرون غالبا على الحفاظ على قصديّة المؤلف الأصلي، ونقل جميع المعلومات التي أوردها في نصه بأمانة، جاءت هذه المقاربة لتعيد الاعتبار للمترجم بمنحه أهمية كبرى في المحيط البيئي الترجمي، والتأكيد على أن جميع عوامل البيئة الترجميّة ينبغي أن تكون منسجمة مع المترجمين من أجل الحفاظ على توازن واستقرار النظام البيئي الترجمي.

وتمنح "مركزيّة المترجم" بصفتها مفهوما أساسيا في علم الترجمة البيئي أهميّة للمكانة المهيمنة للمترجمين ومبادرتهم، لكنها في الوقت ذاته تقيّدهم بقاعدة "البقاء للأصلح"، أي أنّ على المترجم أن يتكيّف مع المحيط البيئي الترجمي بغرض النجاة، كما أنّ هذه المقولة– أي مركزيّة المترجم– تقتضي أن يكون المترجم مسؤولا عن ترجمته، وبهذا يشكّل المترجمون علاقة متناغمة وتكافل مع النص المصدر والنص الهدف، والعوامل الأخرى في المحيط البيئي الترجمي (J. Wang 2020، p 16)، ويشير المحيط البيئي للترجمة بحسب "هو إلى البيئة العامة للمترجم واللغة الهدف، والتي بشكل عام تشمل مجموعة متنوعة من العوامل المرتبطة بسلوك الترجمة مثل البيئات الطبيعية، والاقتصادية، والبيئات اللغوية والثقافية، والبيئات الاجتماعية والسياسية. وبشكل أكثر تحديدا ، فهي تشير إلى العالم المقدم من خلال تجميع العناصر التفاعلية مثل اللغة والتواصل والثقافة والمجتمع والمؤلفين والقراء والعملاء، وهي عناصر مترابطة مع بعضها البعض، وتغيير أي عنصر سيؤدّي إلى تغيرات أخرى في المحيط البيئي. لذلك فإن الغرض النهائي من الترجمة هو الحفاظ على توازن المحيط البيئي للترجمة.

ولما كان علم الترجمة البيئي قائما على احترام النصوص المصدر والهدف والتي تكون في وئام مع الثقافة المستقبلة، فإن النص المصدر يخضع لاختيار وتكييف من قبل الوسيط اللغوي/المترجم الذي يكون على دراية بالثقافة المصدر والهدف، وبفضل معرفته يقوم باختيار مكوِّنات النص المصدر التي يمكن تكييفها بشكل أفضل مع الثقافة الهدف ولغة الجمهور المستهدف. وهذا هو في الأساس النموذج الذي نجد فيه "البقاء للأصلح" كما وصفه تشارلز داروين في نظريته عن التطور، الأصلح الذي يبقى وفيّاً الترجمة، وأن المكونات التي يمكن تكييفها بسهولة مع الثقافة الهدف هي التي تجعل النقل يتمّ بشكل أفضل، وبهذا يتأكد الوسيط من أن النص الهدف قد تم الوصول إليه أخيرًا في انسجامه مع المحيط البيئي للثقافة المستهدفة، ولغتها والجمهور الذي يهدف النص المترجم إليه.

وتقتصر المفاهيم الداروينية على الكائنات العضوية، أي النباتات والحيوانات والبشر. أما في محيط بيئي ترجمي فيكون المترجم هو الكائن الوحيد الواعي القادر على التكيُّف مع بيئة ثقافة المصدر، ويكون مسؤولاً عن الاختيار الطبيعي من النص المصدر الذي يمكن تكييفه مع البيئة المستهدفة. (Dollerup، 2013)

كما يتمُّ اختيار المترجمين باعتبارهم "الأصلح" على سبيل المثال، من قبل المحررين، أو الناشرين، أو النقاد، أو جمهورهم، إضافة إلى اختيارهم لنوع معين من الترجمة المصمَّمة لبيئات مُحدَّدة مثل مراجعي الترجمات

الآلية مقابل مترجمي الشعر والخيال والفن، والمدبلجين مقابل المترجمين الفوريين للاجتماعات السياسية. ويتم اختيار المترجمين أيضًا بحسب البيئات الترجمية التي يتكون منها الجمهور (المحتمل) مثل الأطفال، والأدباء، وقراء روايات الجريمة وغيرها.

وبناء على ذلك يقدم "هو" جملة من النقاط المتعلقة بالمترجم تتمثّل فيما يلي: (Dollerup، 2013)

- أنه من أجل "البقاء" على المترجم "التكيُّف" لضمان "القضاء"على المنافسين و"بقائه باعتباره الأصلح."
- أن المحيط البيئي الترجمي هو الذي يختار المترجم.
- أن المترجم هو من يقرر الانتقاء والتكييف: يختار من النص المصدر، ويتكيَّف مع البيئة المستهدفة، وهي العمليّة التي تؤدّي إلى إنشاء النص الهدف النهائي في" البيئة الجديدة".

ويشير "هو" في سياق هذه العملية أنّ دور المترجم متغيّر، ففي البداية "يتم انتقاؤه" بواسطة "المحيط البيئي"، ثم يصبح ناشطًا بصفته صانع قرار في انتقاء النص المصدر، وكذلك اختيار النص الجديد، والتكيف معه، وإنتاجه، ولابد من الإشارة هنا إلى أن النقطة المهمة هي أن الانتقاء لا يعتمد فقط على المترجم ولكن أيضًا على النص المصدر والعملاء والجماهير و البيئة الترجميّة.

5- أخلاقيات الترجمة من منظور بيئي:

يقدِّم "هو" مجموعة من المبادئ العامة في العملية الترجمية من منظور علم الترجمة البيئي، تتناسب مع الأخلاقيات البيئية بالدرجة الأولى، وهي على التوالي: (Gengshen Hu and Tao 2016, p127/128)

5-1- **مبدأ التوازن والانسجام** *Principle of Balance and Harmony*: ويقصد به الحفاظ على التوازن وتحقيق التناغم بين بيئة النص المصدر وبيئة النص المستهدف على وجه التحديد، من خلال "التكييف الانتقائي" selective adaptation و"الانتقاء التكييفي" "adaptive selection"، إذ ينبغي على المترجم أن يحاول قدر الإمكان الحفاظ على البيئة اللغوية والثقافية

والتواصلية للنص المصدر، ومن ناحية أخرى تكييف النص الهدف مع بيئته اللغوية، والثقافية، والتواصلية لتحقيق الهدف وهو "البقاء"، و"الازدهار" في المحيط البيئي الترجمي للنص الهدف.

2-5- مبدأ التكامل البيئي المتعدد *Principle of Multiple Eco-Integration*: يشير بشكل أساسي إلى معايير الترجمة، والتي لا تتطلَّب فقط الإخلاص للنَّص المصدر، وجذب "القراء"، بل الحفاظ على البيئة النصية عند الدرجة الشاملة للتكييف والانتقاء من أجل جعل النص الهدف "يعيش / يزدهر" "survive/thrive" في البيئة اللغوية الجديدة، والبيئة الثقافية والبيئة التواصلية.

3-5- الدّرجة الشّاملة للتكييف والانتقاء"*Holistic Degree of Adaptation and Selection*: أي مجموع عمليات الانتقاء التكييفي عند إنتاج نص بأبعاد لغوية وثقافية وتواصلية، وبالتالي هي درجة "الانتقاء التكييفي" من الاهتمام بالعناصر الحاسمة في المحيط البيئي الترجمي، والترجمة المثلى بحسب هذا المبدأ هي تلك التي تتميز بأعلى درجة شمولية للتكيف والانتقاء.

4-5- **مبدأ التكافل والتنوع** *Principle of Symbiosis and Diversity*: ويشير بشكل أساسي إلى التكافل والتنوع في دراسات نظريات الترجمة والنصوص المستهدفة المختلفة، فعلى غرار التنوع البيولوجي في المحيط البيئي، ينبغي النظر إلى التنوع في دراسات نظريات الترجمة و"التعايش" بين النصوص المستهدفة المختلفة على أنه أمر طبيعي في تطوير علم الترجمة، باتِّباع مبادئ "البقاء للأصلح" و"الحفاظ على القوي، والقضاء على الضعيف" في المحيط البيئي الترجمي، وهكذا تستمرُّ نظريات الترجمة المتنوعة والنصوص المستهدفة المختلفة في التطور.

5-5- **مبدأ مسؤولية المترجم** *Principle of Translator Responsibility*: ويعني بشكل أساسي أن المترجم يجب أن يتحمَّل "المسؤوليات الكاملة" لعملية الترجمة، وسلوك الترجمة ونشاط الترجمة، وعلى وجه التحديد تنسيق العلاقة المتبادلة بين "المحيط البيئي الترجمي"، و"مجتمع الترجمة"، و"النص المصدر / النص الهدف".

وبهذا تجمع هذه المقاربة بين أخلاقيّات الترجمة البيئيّة والمسؤوليّة الأخلاقيّة.

ويمكن القول إجمالا أن دراسات الترجمة من منظور بيئي توفّر منهجا متكاملا في الترجمة، يأخذ بعين الاعتبار كل العوامل الفاعلة والمتفاعلة ضمن العمليّة الترجميّة، وتُحقّق الانسجام في نظامها البيئي.

ولعلّ أكثر المجالات التي يمكن أن تتوسّل بهذه المقاربة ميدان "الترجمة الاشهاريّة"، والتي تثير النقاش بشكل متجدد حول جودتها والاستراتيجيات اللازمة لتحقيقها، ومشروعيّة التكييف ضمنها بشكل خاص، وغيرها من الإشكالات التي تحاول مقاربة دراسات الترجمة من منظور بيئي التعامل معها.

3– الترجمة الإشهارية من منظور بيئي:

الإشهار نشاط يمسُّ قطاعات متنوعة، فهو عامل حاسم في التأثير في سلوك الناس ونمط معيشتهم، وهو أحد أنماط الترويج الذي يخدم الأهداف التسويقية للشركات العالمية التي تعتمد في تسويق منتجاتها على خطاب إشهاري له بعد تواصلي، تُستوفى فيه كل الشروط اللازمة حتى تصل الرسالة إلى المتلقي، وتؤثر فيه.

ويتميّز النص الإشهاري بخصوصيته مقارنة بالنُّصوص الأخرى، بتحرره من قيود الجماعات اللغوية من جهة، والغاية منه، والتي هي التأثير في المتلقي من جهة أخرى، وهي الغاية التي ستصبح أكثر تركيبيّة عندما يتعلّق الأمر بالتسويق على المستوى العالمي الذي يتمّ بلغات مختلفة، وهي المهمة التي تضطلع بها الترجمة الإشهاريّة.

والواقع أنه عندما يتعلَّق الأمر بالترجمة الإشهارية ببعدها العالمي، فإن الرسائل غالبا ما تكون مكيَّفة بحسب الجمهور المستهدف، والوظيفة الإقناعية الغالبة التي يتعين على المترجم الالتزام بها، بحيث يمكن إدراك التشابه (أو انتفاؤه) بين النص المصدر والهدف ليس فقط على المستوى اللغوي، ولكن أيضًا في الجوانب المتعلقة بالمستوى التصويري والشكلي، وبناء عليه فإن التكييف هو أنجع أساليب الترجمة الإشهارية، والتي من خلالها يقوم المترجم بدوره في القيام بسلسلة من الأنشطة الانتقائية للعناصر التي سيترجمها أثناء عملية التكيُّف مع المحيط البيئي.

وينبغي أن يلتزم المترجم بمبدأ التحويل في جوانب متعدّدة تشمل اللغة، والثقافة، والتواصل وغيرها، ومن هنا تمنح الترجمة من منظور بيئي عمليّة الترجمة مساحة واسعة للإشتغال، وتعوِّض الكثير من العيوب الموجودة في ترجمة الاعلانات،وبناء عليه فإن دراسة الترجمة الإشهاريّة من وجهة نظر الترجمة البيئية ستحصل على تأثير جيد لا محالة.

ومن الأمثلة في هذا الإطار إعلانات مستحضرات التجميل، خاصّة تلك التي تتعلّق بتفتيح البشرة وتنظيفها وغيرها، إذ تتعرَّض الشَّركات التي لا تُراعي البيئة المستقبِلة وخصائصها للانتقاد، كما حدث مع شركة نيفيا (A. B. Wang 2017)*Nivea*التي تعرَّضت لتُهم بالعنصريّة، وهجوم حاد أدّى إلى سحب إعلانها:"الأبيض

هو النَّقاء" *White is purity*(يُنظر الشكل المرفق) ، والذي تدّعي من خلاله أن منتجها للعناية بالبشرة له وظيفة التبييض، وهو ما يتعارض مع المنظور الجمالي العالمي من جهة، ويُقدِّم الجنس الأبيض على أنه النموذج المطلوب، والأكثر تفوقا.

إعلان لشركة نيفيا Nivea

وقد استدركت الشركة هذا الخطأ التداولي لاحقا باعتذار نشرته مفاده:

"Whereas Europeans often wish to have a tanned skin, beauty in Asia and Africa is often connected to a lighter complexion. As a manufacturer of cosmetic products, we try to develop products which respond to these cultural preferences; however, of course always in line with current health and safety requirements (Osman 2019)"

"يرغب الأوروبيون في الحصول على بشرة سمراء، بينما ترتبط معايير الجمال في آسيا وإفريقيا بالبشرة البيضاء، ونحن باعتبارنا شركة لمستحضرات التجميل، نُطوّر منتجاتنا حسب التفضيلات الثقافية للمكان، وبالطبع نلتزم بمعايير الصحة والأمان ".

ومن هنا لابدَّ أن يكون المترجمة على دراية واسعة بالخلفية الثقافية والحضاريّة للبلد الذي يترجم له، حتى لا يقع في إشكالات تمسّ بطبيعة البيئة التي يُترجم إليها، أو تسيء للمتلقّي، وبالتالي يفقد حقه في البقاء لأنه يخلّ بذلك بالتوازن البيئي الترجمي.

وينسحب الأمر ذاته على عناصر ثقافيّة أخرى، يجدر بالمترجم في مجال الإشهار أن يكون على اطّلاع عليها مثل معرفته بأنواع المحرمات في السُّوق المستهدفة على سبيل المثال، حتى يتفادى استخدامها في ترجمته للإعلان، مثل فكرة توظيف"الماعز" التي هي في الصين حيوانات أليفة ومحبوبة، بينما تُشير في إنجلترا إلى الإنسان الفاسق. أو"السُّلحفاة" التي تستخدم في الصين للتعبير عن سوء المعاملة، أما في اليابان فهي كلمة تشير إلى الحظ، ومن هنا على المترجم مراعاة الفروق بين هذه الأسواق عند بناء إعلانه المترجم(Bo 2014 , 711) ، وإلا اعتبرت أخطاء شديد قد تودي بالعملية التسويقيّة برمتها.

وفي السياق نفسه يندرج استخدام الألوان، التي تعكس في حقيقتها أمزجة وعواطف وآراء الشعوب، فالحبر الأحمر red ink على سبيل المثال يُستخدم في اليابان للكتابة على الأضرحة والقبور وبالتالي على الشركات التجارية الأجنبيّة مراعاة ذلك وتعويضه بلون آخر عند نشر إعلاناتها في اليابان، وكذا تفادي استخدام اللون البرتقالي في إيرلندا الشمالية لأنّه يرتبط بالطائفة البروتستانتية، وخاصّة التَّحالف الذي يدعى "جماعة أورنج"، وما يثيره ذلك من حساسيّة دينيّة مع الكاثوليك. وينطبق الأمر ذاته على الأرقام مثل الرقم 13 الذي تتشاءم منه أكثر الشعوب في الغرب ، والرقم أربعة الذي له نفس صوت الموت في اليابانية، وعليه لابد من تجنّبه لتفادي التأويلات السلبية للمتلقّي في هذه البلدان (Flowers 2005)

ومن خلال هذه النماذج المتنوّعة يمكن القول أن الترجمة الإشهاريّة من أكثر أنواع الترجمة طرحا للإشكاليات المتعلقة بالسياق والمحيط البيئي للنصين الأصل والهدف، ومن هنا فإن مقاربة دراسات الترجمة من منظور بيئي التي يقترحها البروفيسور "هو جنغشان" هي الأنسب، لما تُوفّره من إطار نظري وإجرائي ومساحات معتبرة للمترجم للتكييف والانتقاء.

الخاتمة

تحتلُّ البيئة وقضاياها مكانة مركزية في عالم اليوم، لكونها تتعلّق ببقاء المجتمعات، والثقافات، واللُّغات البشرية، خاصّة مع أزمة المناخ المعاصرة التي أدّت إلى التشكيك في إمكانيّة بقاء النوع البشري نفسه. وقد تأثّرت الترجمة بهذه المسألة باعتبارها نشاطا بالغ التعقيد، تُمارسه الأنواع البشريّة منذ آلاف السنين، وبناء عليه شرع علماء الترجمة في التفكير في الترجمة في هذا السياق، ليطرحوا في السنوات الأخيرة هذه المقاربة "دراسات الترجمة من منظور بيئي" *Eco-translatology*، التي تقوم على فكرة أن الترجمة والمترجمين يُشكِّلون جزءا ضمن شبكة من التخصصات المتعالقة، التي يمكن دراستها من منظور بيئي، أي دراسة الترجمة من حيث تفاعلها مع البيئة، وهي تتبنَّى بذلك بيئة الكائن الحي أساسا نظريا للترجمة، وهو ما يحيل بالضرورة على حتميّة أن يتكيّف المترجم مع المحيط البيئي بصفته أرضيّة لانتقاء الترجمة المثلى.

وتنصُّ هذه المقاربة على أن عملية الترجمة، التي وإن كانت عملية اختيار المترجم، وتكيُّفه مع البيئتين الأصليّة والمستقبلة، إلا أن الأمر هنا لا يتعلّق بمجرد التكيُّف مع العوامل التي تميز البيئة مثل اللغة، والثقافة،

والمجتمع، ومختلف العوامل البيئية المحيطة، بل على المترجم أن يُحقّق توازنًا وتناغما بين هذه الأبعاد. كما أن معيار تقييم الترجمة وفق هذه المقاربة يعتمد على درجة التكيُّف الشَّامل والانتقاء، وهذا يتطلّب في المقام الأوّل جودة المترجم ذاته، ومن هنا كان للمترجم دور مركزي حاسم ومسيطر في العملية الترجميّة وِفق هذه المقاربة.

قائمة المراجع

1-المراجع باللغة العربيّة:

- السعدي علي، 2013) .علم البيئة..ط 1. دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان الأردن.
- عبد اللطيف حاتم علي .(2016) .تقييم الأثر البيئي لمشروعات التنمية والقرارات من المنظور الاجتماعي، دراسة نظرية ميدانية . بورصة الكتب للنشر والتوزيع.الطبعة الأولى. مصر.
- دليل الفلسفة ، منظور بلدان الجنوب، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة مكتب اليونسكو متعدد البلدان بالرباط . .(2014)المغرب.
- فتيحة طويل. (2013/2012). التربية البيئية ودورها في التنمية المستدامة. دكتوراه من قسم العلوم الاجتماعية، جامعة مُحَّد خيضر بسكرة ، الجزائر.
- نجم العزاوي وعبد الله حكمة .(2015) .استراتيجيات ومتطلبات تطبيقات ادارة البيئة .دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع.الأردن.

المراجع باللغة الأجنبيّة

- Bo,Ting. (2014). A Study on Advertisement Translation Based on the Theory of Eco-translatology. (A. PUBLISHER, Éd.) Journal of Language Teaching and Research , Vol. 5 (No. 3).
- Dollerup, C. (2013, novembre 25). AN INTRODUCTION TO ECO-TRANSLATOLOGY:A CHINESE APPROACH TO TRANSLATION. a lecture delivered to a class of advanced students of translation. the University of Helsinki, Finland, https://cms13659.hstatic.dk/upload_dir/docs/Publications/233-An-Introduction-to-the-Chinese-school-Eco-Translatology.pdf
- Flowers, Arhlene. (2005). Global writing for Public relations. Connecting in English with stake holders and publics worldwide. (P. T. book, Éd.) England.
- Gengshen Hu. (2020). Eco-translatology, Towards an Eco-paradigm of Translation Studies, New Frontiers in Translation Studies. Singapore Lte, LTD: Springer Nature,.
- Gengshen Hu & Youlan Tao. (2016). Retrieved from www.semanticscholar.org: https://zbook.org/downloads/15952b_eco-translatology-a-new-paradigm-of-eco-translation-a

- Osman, Nada. (2019, April 4). middleeasteye. Consulté le Mars 5, 2022, sur: https://www.middleeasteye.net/discover/skin-lightening-creams-are-they-exploiting-beauty-myths-south-sudan
- Wang Amy B. (2017 , April 5). Retrieved Mars 6, 2022, from washingtonpost: https://www.washingtonpost.com/news/business/wp/2017/04/05/niveas-white-is-purity-ad-campaign-didnt-end-well
- Wang, Jun. (2020). Translator's Subjectivity in Eco-Translatology. Récupéré sur 14-19, DOI: https://doi.org/10.46809/jcsll.
- Xiaohua, Jiang. (2015, March 12). "Eco" and "Adaptation-Selection" in Eco-Translatology Explained. . (P. Macmillan, Éd.) Consulté le 2022, sur https://doi.org/10.1057/9781137522092_9.